رد الشبه العقلية عن بعض الأحاديث النبوية

"دراسة نقدية لثلاثة نماذج حديثية"

الدكتور

إبراهيم بن خليل بني سلامة

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود

من ٢٤٧٩ إلى ٢٥٢٦

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وآله وسلم .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران : ١٠٢] .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : ١] .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب٧٠ : ٧١] .

وبعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد . صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من رحمة الله تعالى على هذه الأمة أن جعل دينها محفوظا على مر العصور وكر الدهور وذلك من خلال حفظ وحييها القرآن والسنة، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]

ولا شك أن حفظ القرآن يستلزم حفظ السنة لأنها المبينة لمجمله والمقيدة لمطلقه والمتممة لما سكت عنه، قال تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] .

ولقد قيظ الله تعالى في كل زمان ومكان أئمة أفذاذا حملوا على عواتقهم هذه المهمة الجليلة بحيث جمعوا السنة وصنفوها ودفعوا عنها ما ليس منها ومن هؤلاء

الإمامان الجليلان البخاري ومسلم عليهم الرحمة في صحيحيهما اللذين يعدان أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه، وبقية أصحاب الكتب الستة والإمام مالك واحمد وبقية أصحاب الموطأت والمسانيد .

وإنه لمن رحمة الله سبحانه أن ييسر سبحانه في كل زمان من العلماء من يقوم بذلك ويجدد للناس أمر دينهم وتقريبه من أفهامهم. غير أنه مما لا شك فيه انه قد دخل – أثناء هذه المسيرة المباركة – على صف العلماء من ليس منهم وليس له من العلم ما يؤهله ليكون على طريقتهم ونهجهم إما بسبب قصورٍ في علم الحديث خاصة – وإن كان متخصصا في غيره –، أو بسبب سوء نية أو عداوة خفية للسنة النبوية أرخى عليها خبايا صدره يكيد للدين عامة وللسنة .

وفي هذا الزمان ظهر من هؤلاء من حاول التصدي لمسألة الحكم على الأحاديث دون أن تكون لهم معرفةٌ راسخةٌ في هذا الشأن، فمنهم من اعتمد على ظاهر الأسانيد فقط وأغلبهم اعتمد على المنهج العقلي المخالف لمنهج المحدثين .

ومن هؤلاء أبو ريه وأحمد أمين ومحمد شحرور ومحمد جواد عفانة وأصحاب مدرسة المنار ما قبل الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان أقرب لمدرسة الحديث والشيخ محمد الغزالي وغيرهم

غير أنه من العدل أن نؤكد أن هؤلاء ليسوا سواء فمنهم سيء الطوية يكيد للسنة وأهلها كأبي رية ومحمد شحرور، ومنهم من وقع في هذا الخلل بسبب عدم رسوخ قدمه في هذا العلم الشريف كالشيخ الغزالي – رحمه الله –.

ولقد حاولت في هذا البحث الذي سميته رد الشبه العقلية عن بعض الأحاديث النبوية " دراسة نقدية لأربعة نماذج حديثية " من خلال دراسة أربعة أحاديث تعرضت للكثير من الطعن والتشكيك، وقد جعلت من ضوابط اختيارها أن تكون صحيحة عند

أهل الشأن دون خلاف حقيقي كأن تكون في الصحيحين أو أحدهما، وأن تكون من الأحاديث التي كثر انتشارها والحديث عنها في أوساط المتعلمين.

أما عن الدراسات السابقة المتصلة بهذا الموضوع فقد وجدت جهودا مشكورة في الذب عن السنة لعلماء موفقين أمثال الشيخ المعلّمي، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ أبي شهبة، والدكتور السباعي وغيرهم، فندوا فيها شبهات بعض المبتدعة أمثال أبي رية وأحمد أمين وغيرهم؛ ومن هذه الدراسات:

(١) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، تأليف الشيخ المحدّث عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني.

(٢) ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية، تأليف الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة.

(٣) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين، تأليف الأستاذ الدكتور محمد محمد أبي شهبة.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف الدكتور الشيخ مصطفى السباعي.

لكن السمة العامة لهذه الدراسات الدفاع عن السنة بشكل عام ومناقشة الطاعنين بها فيما يتعلق بجوانب علوم الحديث المختلفة، لذا رأيت أن أنتخب بعض أحاديث السنة بالدراسة والبحث لعلها تكون لبنة في هذا الصرح العلمي العظيم

وقد جعلت هذه المحاولة – التي أرجو ان تكون نافعة – على النحو التالي:

التمهيد: وفيه تعريف العقل، ودوره، وحدوده.

المبحث الأول: حديث لطم موسى عين مَلَك الموت.

المبحث الثاني: حديث عرض أبي سفيان ثلاثة أمور على النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا.

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها .

التمهيد:

مفهوم العقل عند أهل السنة والجماعة:

العقل لغة: مصدر عقِل بكسر القاف يعقل عقلاً فهو معقول وعاقل وأصل معناه المنع والحبس، تقول: عقلت البعير عقلاً إذا منعته عن الحركة، ويقال: اعتُقل الرجل إذا حبس .

وعقَل الشيء إذا علمه وعلم صفاته من حسن وقبح وكمال ونقصان فأمسكها وأمكن أن يميز بين القبيح والحسن والخير والشر .

العقل اصطلاحاً: يمكن إجمال مفهوم العقل لدى أهل السنة والجماعة بأنه: الغريزة المدركة في الإنسان التي بها يعقل ويعلم، وهي كقوة البصر في العين أو هو: العلوم الضرورية، والتي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات.

مكانة العقل ودوره عند أهل السنة:

للعقل في الإسلام منزلة كبيرة ودرجة رفيعة، فلا توجد عقيدة تحترم العقل الإنساني وتمجده وتعتمد عليه في ترسيخ ثوابتها كالعقيدة الإسلامية، فنظرة إلى آيات القرآن الكريم عبارات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] تتكرر عشرات المرات، مؤكدة المنهج القرآني الفريد في الاقتناع العقلي للإيمان، كل هذا يؤكد ما للعقل من منزلة كبرى في الإسلام والتي يمكن بيان بعضها فيما يلي:

– قيام الدعوة إلى الإيمان على الإقناع العقلي: قال تعالى في كتابه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه

– دعا العقل إلى التدبر في مخلوقات الله ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ سورة الروم:٨ .

– القرآنُ يدعو العقل لإصلاح الحياة الاجتماعية لما فيه فلاحها وسعادتها ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

– القرآن حين يدعو إلى الإيمان ينعى على المقلدين الذين لا يُعملون عقولهم، ويتبعون عاداتهم وأباءهم قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠ .

– كرَّم القرآن العقل ودعاه إلى العلم، وقرن سبحانه ذِكْرَ أولي العلم بذِكْرِه عز وجل وذِكْرِ ملائكته قال جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

– القرآن حرم على العقل كل ما يغطي فعله وأثره، فضلًا عما يزيله؛ فحرم شرب الخمر﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

حدود العقل عند أهل السنة:

من المعروف أن الناس في نظرهم لدور العقل طرفان ووسط حيث ظهرت طائفتان مختلفتان متناقضتان هما الأولى: غلت في جانب العقل فأنزلته فوق منزلته، حيث جعلته مقدماً على الوحي وهم طوائف أهل الكلام، والثانية: أهملت العقل ولم تلتفت إليه بحجة التفكر في الذات الإلهية وهم غلاة الصوفية.

أما أهل السنة فكانوا وسطاً في هذا الباب فلا إفراط ولا تفريط حيث كانوا يأخذون بالنظر العقلي والتأمل الفكري بما يخدم الأمة والناس أجمعين ويعين على الابتكار والازدهار والتقدم العلمي والتقني والحضاري، منطلقين في ذلك مما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر والتدبر وغير ذلك، لكنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من جعل العقل أساسا في علوم الظاهر والباطن، والشاهد والغائب، والصنائع والشرائع.

فالعقل له حدوده التي يقف عندها فلا يستطيع أن يتجاوزها خاصة فيما يتعلق بعلوم الشرع والدين، والعقيدة والغيب والآخرة .

إذاً فأهل السنة والجماعة يأخذون بمبدأ الاستدلال العقلي الشرعي، الذي يوائم بين نصوص الشرع ومعطيات العقل ذلك أنه لا تعارض بين الشرع الصحيح والعقل المليح، يقول الإمام ابن الوزير اليمني: (.... فهؤلاء – يقصد بهم أهل السنة – كتابهم القرآن وتفسيرهم الأخبار والآثار ولا يكاد يوجد لهم كتاب في العقيدة فإن وجد فالذي فيه هو بمعنى الوصية المحضة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وهم لا يعنون بالرجوع إليهما نفي النظر وترك العقل والاستدلال البتة ...وإنما ينكرون من علم النظر امرين:

أ–القول بأن النظر فيما امر الله تعالى بالنظر فيه وجرت به عادة السلف غير مفيد للعلم، إلا أنه لم يُرد إلى ما ابتُدع من طريق المتكلمين، بل هو عندم كافٍ شافٍ إن خالف طرائق المتكلمين.

ب–أنهم ينكرون القول بتعين طرائق المنطقيين والمتكلمين للمعرفة وتجهيل من لم يعرفها وتكفيره)[(١)] .

وانطلاقا من ذلك يمكن تلمس الضوابط التالية في حدود وعمل العقل:

١– الدين في أصله نقلٌ والعقل مهمته التأكُّد من صحة النقل ثم فهم النقل، قال سبحانه: " {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]

قال ابن الوزير: "أمر الله تعالى بتدبُّر كتابه بقوله: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، وقوله: {لِيَدَّبَّرُوا آياتِه} [ص: ٢٩]، فوجب بذل الجهد في تدبر كل ما في كتاب الله من الألفاظ المفردة، والمعاني المتركبة منها إلاَّ ما لم نستطع

---

[١]– العواصم من القواصم ٣ / ٣٣٣

معرفته مما لم يُرِدِ الله سبحانه خطابنا به من المتشابه، وإنما أنزله علينا لنؤمن بمعناه جملة، ونتبرك بتلاوته، وربما خصَّ بمعناه بعض أنبيائه وملائكته"[١] .

٢- أن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج إلى الشرع قال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الملك: ٢٢]
فالعقل المجرد لا يمكن أن يستغني عن نور هداية الوحي فهو في كل أحواله خلق ناقص يبقى دائما بحاجة للكامل وهو وحي الله، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم)[٢] .

٣- تقديم النقل على العقل عند توهم التعارض، فالعقل مصدَّقٌ للشرع في كل ما أخبر به، دال على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة عامة مطلقة، فالعقل مع الشرع كالعامي مع المفتي .

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل)[٣] .

تقديم العقل على النقل قدح في العقل، يقول ابن أبي العز الحنفي : (وتقديم العقل ممتنع لان العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره فان جاز أن تكون الدلالة باطلة

[١]- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٦/ ١٨١)
[٢]- الاعتصام، للشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١/١١١
[٣]- درء تعارض العقل والنقل ١/١٣٨

لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا وإذا لم يكن دليلا صحيحا لم يجز أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل"[١] .

٤- أن العقل ليس بحاكم، أي أنه لا يحكم على الأشياء نفعها وضرها مستقلا، فهو دائما بحاجة للوحي ينيره ويهديه، فمثلا: الخمر لا يختلف عاقلان نه كان ضارا وامتنع كثير من العقلاء عن شربه لكن لم يصر محرما إلا بعد نزول القرآن بتحريم .

٥- أن الله جعل للعقل قدرة، لا يسعه أن يتجاوزها ويتعداها، فأمر الله عند الاختلاف بالرجوع إلى الكتاب والسنة لا إلى عقل أولئك فقال سبحانه: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} [النساء:٥٩].

المبحث الأول

حديث لطم موسى عين مَلَك الموت

عن أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –فذكر أحاديث منها وقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك – قال – فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها – قال

١- شرح العقيدة الطحاوية ٢١٧/١

– فرجع الملك إلى الله تعالى فقال إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني – قال – فرد الله إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت. قال فالآن من قريب رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « والله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.

تخريج الحديث

أخرجه البخاري في كتاب الجنائز / باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، وكتاب الأنبياء / باب وفاة موسى مرفوعا وموقوفا، ومسلم كتاب الفضائل / من فضائل موسى مرفوعا وموقوفا أيضا، والنسائي كتاب الجنائز / باب نوع آخر {قيض ملك الموت لموسى عليه السلام} موقوفا وقال في آخره: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر »[١] .

قال الشيخ محمد الغزالي – بعد رده لدفاع العلماء عن هذا الحديث –: "هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يساغ!!.

ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين. والحق: أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة. ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافا عقائديا.

والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي.

سمعت كلاما حادا ممن يرون أن موسى فقأ عين ملك الموت حقا، وأن هذا غير مستغرب.

---

[١] – سنن النسائي (ج ٧ / ص ٢٧٤)

وقبل أن أذكر ما عندي أثبت هنا حديث أحمد عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه! قلنا: يا رسول الله كلنا نكره الموت! فقال رسول الله: ليس ذلك كراهية الموت! ولكن المؤمن إذا حضر ـ احتضر ـ جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر اليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقى الله تعالى، فأحب لقاء الله!!... قال: وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر ـ احتضر ـ جاءه «النير» بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه».

والحديث المذكور يتجاوز أحوال الصحة المعتادة، وانغماس الناس في معايشهم يزرعون ويصنعون ويتجرون، فإن إقبالهم على الحياة لا نكر فيه، ونزول الموت هنا قد يوصف بأنه معصية! وما تقوم الدنيا وينشأ عمران إلا من هذا الشعور بالحياة وحبها.

على أن المؤمن قد ينبذ الحياة الدنيا في ساعة فداء ينصر بها دينه ويلقى بها ربه، فهو وإن انغمس في شئون الدنيا لا ينسى أبدا دينه، ولا ينكص عن لقاء ربه.

وحديث أحمد بن حنبل يتجاوز هذه الظروف كلها ليشرح اللحظات الأخيرة من عمر المتوفى وهو في فراش المرض، أو وهو على أبواب الآخرة، وقد شرع ملك الموت يسترد الروح ليعود بها الى بارئها.

في هذه الأوقات الحرجة تجيء البشرى التي يطير بها المؤمن فرحا، أو الأنباء التي ينوء بها الفاجر كمدا.

فلننظر على ضوء هذه الحقائق الى حديث فقء موسى لعين ملك الموت. إن الملك قال لموسى: أجب ربك. يعني أن عمرك انتهى، فاستعد لتسليم روح والعودة الى ربك!!.

أفي هذه العودة ما يضايق موسى؟ قال المدافعون عن الحديث: موسى كسائر البشر يكره الموت! ونقول: كراهية الموت مفهومة في الأحوال العادية للناس العاديين، ولا معنى لها بعد انتهاء الأجل، ومجيء الملك ليسترد وديعته!

ما الذي يكرهه موسى من اللقاء الحتم؟ إن هذا الكره تحول الى جزع وغضب جعلا موسى يفقأ عين الملك كما يقال!)[١] .

الشبه التي وجهت للحديث

١ –أن الحديث يفيد كره موسى للموت وأنه لا يحب لقاء الله وهذا كله مرفوض بحق الصالحين فكيف بحق واحد من أولى العزم؟

قلت: هذه الشبهة هي – ويعلم الله – من باب اجتزاء النصوص كقول القائل فول للمصلين وهنا ادع الرد للشيخ سلمان العودة حيث قال:

(قوله: {إنه مما يستغرب أن موسى يكره الموت بعدما جاءه ملك الموت}، أقول كون موسى وغيره يكره الموت، ليس أمراً مستغرباً فكراهية الموت جبلة في كل إنسان، ولذلك لما ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حديث عائشة وأبي هريرة – وحديثهما في الصحيح –: {من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه} قال له الصحابة يا رسول الله أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – {ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضر بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بسخط الله وعذابه وناره فكره لقاء الله وكره الله لقاءه}. والتابعون لما روى لهم أبو هريرة الكلام نفسه قالوا الإيراد نفسه: فكلنا يكره الموت؟ إن كان كذلك فقد هلكنا!، فمن طبيعة الإنسان يكره الموت مهما كان، ولا غرابة أن يكرهه موسى عليه السلام)[٢] .

---

[١] – السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ٣٦

[٢] – حوار هادئ مع الغزالي (ج ١ / ص ٩٤)

٢ – استغراب وجود عاهة في ملك الموت، والملائكة نزههم الله عن النقائص من مثل ذلك، وأنه إن عرفه موسى وفقأ عينه فهذا استخفاف به وهو ما لا يجوز

قلت: العاهة ها هنا – فسرها العلماء – بأنها عاهة عارضة للصورة التي تصور بها الملك وليست للصورة الأصلية التي خلق عليها، وقد ثبت أن الملك يتصور للنبي وغيره بصور شتى فلا مانع أن يعرض لهذه الصورة عارض لأنها صورة بشرية وليست صورة الملك التي خلقه الله تعالى عليها، والملك – على كل حال – عبد مخلوق من عدم وصائر إلى الموت، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، أما لماذا ضرب موسى ملك الموت؟ فذلك لأنه ظنه آدميا يريد به أذية فدافعه عن نفسه فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء وتؤيده رواية (صكه)، ولم يعلم أنه ملك الموت .

قال ابن حجر نقلا عن ابن خزيمة: (والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه إليه اختبارا وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر)[1] .

وأيضا نقل عن ابن قتيبة انه قال: (إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينا حقيقة ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد)[2].

---

[1] – فتح الباري – ابن حجر (ج ٦ / ص ٤٤٢)

[2] – المرجع السابق ٦/ ٤٤٢

قلت: هناك أقوال أخرى لبعض العلماء تفسر ذلك منها:

– قال الخطابي: أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ[١] .

– قال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم[٢] .

– قال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن قيل وهذا أولى الأقوال بالصواب قلت: رده ابن حجر بقوله: (وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانا)[٣] .

– قال البعض: إن معنى قوله فقأ عينه أي أبطل حجته[٤]، وهو مردود بقوله صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث فرد الله عينه وبقوله لطمه وصكه وغير ذلك من قرائن السياق

قلت: الجواب الأول هو الأولى بالصواب – والله اعلم – .

٣ – إنه لم يُقتص لملك الموت من موسى عليهما السلام، وهذا مخالف لقواعد الشريعة، ومخالفة الحديث لقواعد الشريعة مدخل في صحة الحديث .

والجواب أن موسى ظنه بشر يريد به الأذى – كما سبق ذكره عن بعض العلماء – فدافعه وفقئت عينه بسبب هذه المدافعة لا أنه تعمد ذلك وهذا مأذن به لمن أعتدي عليه وعلى فرض معرفته فلنا أن نقول من أين عرفت مشروعية القصاص بين

---

[١] – المرجع السابق ٦/ ٤٤٢

[٢] – المرجع السابق ٦/ ٤٤٢

[٣] – المرجع السابق ٦/ ٤٤٢

[٤] – المرجع السابق ٦/ ٤٤٢

الملائكة والبشر، وعلى فرض وجوده فمن أين علمت ان ملك الموت طالب بالقصاص ولم يقتص له؟ .

قال ابن حجر: (وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقوء عين الناظر في دار المسلم)[١] .

قال مسلم: (ان موسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقوء عينه لا انه قصدها بالفقوء وتؤيده رواية صكه)[٢] .

قلت: هذه أهم الشبه التي وجهت للحديث مع الرد عليها، لكن يحسن هنا أن نناقش بعض عبارات الشيخ الغزالي – رحمه الله – والتي أحسب أنه كان من الحكمة والخير له وللمسلمين لو لم تصدر عنه لا سيما وهو من الدعاة الذين كان لهم أثر بالغ في الساحة الإسلامية خصوصا في دفاعه لشبه المستشرقين ومن لف لفيفهم – والتي يمكن اختصارها فيما يلي:

١ – قوله في أول حديثه (ماذا يفيدك هذا الحديث) للطالب الذي سأله عن الحديث أقول فوائد الحديث كثيرة:

– منها ابتلاء الإنسان بالإيمان بالغيب، فإن الله عز وجل جعل من أخص خصائص المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب: (الذين يؤمنون بالغيب)[٣]. فهذا الحديث وغيره من الأحاديث التي ثبتت هي من الغيب الذي يبتلي المؤمنون بالإيمان به .

– ربط المؤمن بالأجيال السابقة من خلال هذه التفصيلات النبوية، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يذكر لبعض أصحابه بعض القصص والتفاصيل

---

[١] – فتح الباري (ج ٦ / ص ٤٤٢)

[٢] – شرح النووي على مسلم (ج ١٥ / ص ١٢٩)

[٣] – البقرة ٣

حتى يربطهم بتلك الأجيال ويشعرهم بأن السابق واللاحق من أمة الإسلام أمة واحدة، وإلا فإنا نجد كثيراً من القصص التي ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم– عن بني إسرائيل في الصحيحين وغيرهما، وقد يرد السؤال نفسه، ما الفائدة منها؟ فنقول: هذه هي الفائدة.

– كذلك الكشف عن طبيعة الإنسان خاصة في بعض المواقف حتى حين يكون نبياً مصطفىً مختاراً، فإنه لا يخرج عن إنسانيته وبشريته.

– الفوائد الفقهية وهي كثيرة ذكرها أهل العلم منها فضل الموت في الأرض المقدسة، ولذلك جاء في الحديث الصحيح (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل)

– قد يستفاد منه حماية الأنبياء لجانب التوحيد لما يدل عليه هذا الدعاء (رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر) من حرص موسى على عدم اشتهار قبره ومعرفة بني إسرائيل به لما يخشى من عبادتهم لهم[1] .

٢ – نعى الشيخ الغزالي على بعض العلماء أنهم جعلوا رد الحديث إلحادا.

أقول: إن قول المازري وابن خزيمة: (إن الملاحدة لا يؤمنون بهذا الحديث)، ليس معناه أن من لا يؤمن بهذا الحديث ملحد وكافر إذ يلزم حتى نصف من أنكره بالإلحاد أن يكون هذا الحديث متواتر أو أنه يفيد العلم اليقيني القطعي، بل المراد ذكر إحدى صفات الملاحدة وهي التمسك بهذا الأحاديث للتشكيك بالإسلام وقواعده .

٣ – كان يحسن به – رحمه الله – ألا يقع هو في وصف الدفاع عن الحديث بأنه دفاع تافه لا يساغ، حيث قال: (هذا الدفاع خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا

---

[1] – بتصرف عن كتاب حوار هادئ مع الغزالي (ج ١ / ص ٩٥)

يساغ)[١] ، ووصف من يؤمنون بهذا الحديث أنهم من أصحاب الفكر السطحي، قال أيضا: (يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي)[٢] .

ذلك أن هذه أقوال علماء كبار يجب احترامهم ومعرفة فضلهم والتأدب معهم، حتى لو لم يقبل الإنسان آراءهم، كما لا يصح وصف أئمة الحديث كالبخاري، ومسلم، وأحمد، والنسائي، وابن خزيمة، وغيرهم، ورجال الإسناد الذين رووه، والذين تكلموا على متنه مقرين له، بأنهم أصحاب الفكر السطحي .

المبحث الثاني
حديث عرض أبي سفيان ثلاثة أمور على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام مسلم: حدثني عباس بن عبد العظيم العنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالا حدثنا النضر – وهو ابن محمد اليمامي – حدثنا عكرمة حدثنا أبو زميل حدثني ابن عباس قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي – صلى الله عليه وسلم – يا نبي الله ثلاث أعطنيهن قال « نعم ». قال عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها قال « نعم ». قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال « نعم ». قال وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال « نعم ». قال أبو زميل ولولا أنه طلب ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم – ما أعطاه ذلك لأنه لم يكن يُسئل شيئا إلا قال « نعم »[٣] .

---

١ – السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ٣٦

٢ – نفس السابق

٣ – صحيح مسلم (ج ١٦ / ص ٢٤٧) ابن حبان ٧٢٠٩

الشبه التي أَثيرت حول الحديث

١ – ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من أم حبيبة قبل ان يسلم أبو سفيان بزمن، أقل ما قيل فيه أنه تزوجها سنة ست أو سبع من الهجرة، أي قبل ان يسلم أبو سفيان بسنة أو سنتين .

٢ – ورد في الحديث ان أبا سفيان طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤمره في القتال حتى يقاتل المشركين كما كان يقاتل المسلمين .

٣ – اتهام ابن حزم لراوي الحديث عكرمة بن عمار وتحميله وصمة الكذب في الحديث .

قال ابن القيم (فهذا الحديث غلط لا خفاء به قال أبو محمد بن حزم: وهو موضوع بلا شك كذبه عكرمة بن عمار وقال ابن الجوزي في هذا الحديث: هو وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد وقد اتهموا به عكرمة بن عمار لأن أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبد الله بن جحش وولدت له وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة ثم تنصر وثبتت أم حبيبة على إسلامها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يخطبها عليه فزوجه إياها وأصدقها عنه صداقا وذلك في سنة سبع من الهجرة وجاء أبو سفيان في زمن الهدنة فدخل عليها فثنت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يجلس عليه ولا خلاف أن أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكة سنة ثمان .

وأيضا ففي هذا الحديث أنه قال له: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال: نعم ولا يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان البتة)[1] .

أقوال العلماء في توجيه الحديث

[1] – زاد المعاد (ج ١ / ص ١١٠)

١ – قال البعض: الصحيح أنه تزوجها بعد الفتح لهذا الحديث قال: ولا يرد هذا بنقل المؤرخين وهذه الطريقة باطلة لما عُلم بالسيرة وتواريخ ما قد كان .

٢ – قالت طائفة ومنهم ابن الصلاح: بل سأله أن يجدد له العقد تطييبا لقلبه فإنه كان قد تزوجها بغير اختياره.

قال النووي في شرح مسلم قال لبن الصلاح: (وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة؛ لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبا لقلبه؛ لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج ابنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد، وقد خفي أوضح من هذا على أكبر مرتبة من أبي سفيان ممن كثر علمه وطالت صحبته)[1] .

لكن ابن القيم رد ذلك قائلا: (وهذا باطل لا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يليق بعقل أبي سفيان ولم يكن من ذلك شيء)[2] .

قلت: بل لا يوجد فيه ما لا يليق بهما فإنه زمن التشريع وفيه يخفى بعض قواعد الشرع على بعض كبار الصحابة بل حتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كمسألة ميراث الجدة على أبي بكر ومسألة الاستئذان على عمر – رضي الله عنهم – فكيف بأبي سفيان وهو حديث عهد بالإسلام، أما أنه لا يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم فغير مسلم أيضا لأنه ليس فيه صراحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجابه إلى طلبه بل قد يكون معنى (نعم) للاستماع لا للموافقة – كما سيأتي ذلك فيما بعد – .

٣ – قالت طائفة ومنهم البيهقي والمنذري: يحتمل أن تكون هذه المسألة من أبي سفيان وقعت في بعض خرجاته إلى المدينة وهو كافر حين سمع نعي زوج أم حبيبة بالحبشة .

---

[1] – شرح النووي على مسلم (ج ٨ / ص ٢٧١)

[2] – زاد المعاد (ج ١ / ص ١١٠)

قلت: رده ابن القيم لما ورد في الحديث من أن أبا سفيان سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ان يؤمره للقتال فكيف يكون ذلك وهو كافر حيث قال: (فلما ورد على هؤلاء ما لا حيلة لهم في دفعه من سؤاله أن يؤمره حتى يقاتل الكفار وأن يتخذ ابنه كاتبا قالوا: لعل هاتين المسألتين وقعتا منه بعد الفتح فجمع الراوي ذلك كله في حديث واحد والتعسف والتكلف الشديد الذي في هذا الكلام يغني عن رده)[1]، وهذا كلام متجه – والله اعلم – .

٤ – قالت طائفة: للحديث محمل آخر صحيح وهو أن يكون المعنى: أرضى أن تكون زوجتك الآن فإني قبل لم أكن راضيا والآن فإني قد رضيت فأسألك أن تكون زوجتك .

قال ابن القيم بعد ان ساق هذا القول: (الأولى بنا الرغبة عنه لضيق الزمان عن كتابته وسماعه والاشتغال به فإنه من ربد الصدور لا من زبدها)([2]) .

هذا ما قاله ابن القيم، وهو حق – بإذن الله تعالى – لكن يستغرب من ابن القيم مثل هذه الحدة .

٥ – قال آخرون: لما سمع أبو سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه لما آلى منهن أقبل إلى المدينة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال ظنا منه أنه قد طلقها فيمن طلق

٦ – قالت طائفة ومنهم ابن القيم: بل الحديث صحيح ولكن وقع الغلط والوهم من أحد الرواة في تسمية أم حبيبة وإنما سأل أن يزوجه أختها رملة .

قال ابن القيم: ولا يبعد خفاء التحريم للجمع عليه فقد خفي ذلك على ابنته وهي أفقه منه وأعلم حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل لك في أختي بنت

[1] – زاد المعاد (ج ١ / ص ١١١)

[2] – المرجع السابق

أبي سفيان؟ فقال: أفعل ماذا؟ قالت: تنكحها قال: أوتحبين ذلك؟ قالت: لست لك بمخلية وأحب من شركني في الخير أختي قال: فإنها لا تحل لي)[1] فهذه هي التي عرضها أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم فسماها الراوي من عنده أم حبيبة وقيل: بل كانت كنيتها أيضا أم حبيبة وهذا الجواب حسن لولا قوله في الحديث: فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأل فيقال حينئذ: هذه اللفظة وهم من الراوي فإنه أعطاه بعض ما سأل فقال الراوي: أعطاه ما سأل أو أطلقها اتكالا على فهم المخاطب أنه أعطاه ما يجوز إعطاؤه مما سأل)[٢] .

٧ – قال البعض: أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد بنعم: أن مقصودك يحصل بدون عقد

قال مسلم: (وليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم جدد العقد، ولا قال لأبي سفيان إنه يحتاج إلى تجديده، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: نعم أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد. والله أعلم)[٣] .

قلت: هذه خلاصة أقوال العلماء في توجيه الحديث ولعل الأولى من ذلك ما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله فإنه يجمع بين الأحاديث ولا يترك حجة لأحد في رد الحديث، أو ان يقال ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (نعم) لم تكن للموافقة بل هي بمعنى: أنا أسمع حديثك، ذلك أنه لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه جدد العقد على أم حبيبة أو أختها، أو أمّر أبا سفيان فلو كان معناها الموافقة لترتب عليه القول بأن الرسول أخلف وعده وهذا لا يستقيم بحق النبي صلى الله عليه وسلم .

---

[١] – مسلم في الرضاع / باب تحريم الربيبة وأخت الزوجة

[٢] – زاد المعاد (ج ١ / ص ١١١)

[٣] – شرح النووي على مسلم (ج ٨ / ص ٢٧١)

أما بخصوص اتهام ابن حزم لعكرمة راوي الحديث فإنه غير دقيق ذلك ان ابن حزم من المعروفين بجرأته وشدته في الرواة والحق ان عكرمة ثقة ان شاء الله، ثم إن بعض العلماء ردوا قول ابن حزم هذا .

قال النووي: (وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم، وبالغ في الشناعة عليه. قال: وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار، وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة)[1] .

فخلاصة القول فيه أنه ثقة إلا في حديثه عن يحيى ابن أبي كثير .

قال الذهبي: ثقة، إلا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب .

قال المزي في تهذيب الكمال: قال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين: ثقة. وقال أحمد بن عبد الله العجلى: ثقة. وقال البخاري: مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير، ولم يكن عنده كتاب. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن عكرمة بن عمار، فقال: ثقة، وفى حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب، وهذا الحديث ليس عن يحيى بن أبي كثير بل هو عن أبي زميل .

قلت: وقبل الختام فإني أود لفت النظر إلى صنيع بعض أهل الأهواء الذين ينقلون عن العالم ما يوافق هواهم ويدعون الآخر وإن كان في المسألة نفسها، بل أحيانا يكون قول العالم على خلاف ما يفهم من نقلهم عنه كأن ينقل من كتاب العالم كلاما عن بعض المبتدعة يرده العالم في نفس الموضع، لكن هؤلاء لا ينقلون هذا الرد فيوهم ذلك موافقة العالم على هذا النقل .

---

[1] – شرح النووي على مسلم (ج ٨ / ص ٢٧١)

ففي هذا الحديث ذكر ان من الذين ردوا الحديث ابن القيم لكنه لم ينقل لنا ان ابن القيم له قول آخر وهو توجيه الحديث لا رده كما سبق بيانه، وهذا لعمري ما هو بمنهج أهل العلم الباحثين عن الحق كما يدعي الكردي، بل هو صنيع أهل الهوى الزائغين عن الحق

المبحث الثالث

خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا

عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن» .

تخريج الحديث

أخرجه البخاري (٥/٢٢٩٩، رقم ٥٨٧٣) و(٣/ ١٢١٠، رقم ٣١٤٨)، ومسلم (٤/٢١٨٣، رقم ٢٨٤١)، أحمد (٢/٣١٥، رقم ٨١٥٦). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/٣٣٩، رقم ٩٧٨)، وابن حبان (١٤/٣٣، رقم ٦١٦٢).

الشبه التي أُثيرت حول الحديث

١– استنكار أن يكون آدم خُلق على صورة الرحمن سبحانه

٢–استنكار إثبات الصورة لله سبحانه

٣–استنكار الطول الذي خُلق عليه آدم أول خلقه، بسبب عدم توافق ذلك مع مكتشفات علماء الآثار والحفريات في هذا الزمان

الرد على هذه الشبه

سلك العلماء في هذا الحديث مسلكان:

الأول: إبقاء الحديث على ظاهره وأن المراد أن الله خلق آدم على صورة الله عز وجل ولا يلزم من ذلك المساواة والمماثلة بدليل قوله – صلى الله عليه وسلم –: " إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضؤل كوكب في السماء "[١]، ولا يلزم أن يكون على صورة نفس القمر، لأن القمر أكبر من أهل الجنة، وأهل الجنة يدخلونها طول أحدهم ستون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع كما في بعض الأحاديث.

قال ابن بطة: عن أبي بكر المروزي، قال: قلت لأبي عبد الله: «كيف تقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:» خلق الله آدم على صورته؟ «قال: أما الأعمش فيقول: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم:» إن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن «فنقول كما جاء الحديث. وسمعت أبا عبد الله، وذكر له بعض المحدثين، قال: خلقه على صورته، قال: على صورة الطين، فقال: هذا كلام الجهمية .

وقال أيضا: قال إسحاق بن منصور، قال: قلت لأحمد: «لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورته»، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح، قال ابن راويه: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي[٢] .

وقد أخرجه الآجري في باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف، ثم قال: قال محمد بن الحسين رحمه الله: هذه من السنن التي يجب على المسلمين

---

١ – البخاري: كتاب الاستئذان / باب بدء السلام، ومسلم: كتاب البر /باب النهي عن ضرب الوجه.

٢ – الإبانة الكبرى لابن بطة – (ج ٦ / ص ٢١٧+٢١٨)

الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين[1].

قال حمد التويجري: الصحيح أنه يُحمل على ظاهره: أن الله خلق آدم على صورته، لكن بدون كيف وبدون تشبيه وبدون تمثيل........ بل إن الإمام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث قال: ليس فيه ما يدعو إلى صرف هذا اللفظ عن ظاهره، يقول: وإنما وقعت الوحشة في هذا الحديث بسبب أنه ما جاء في القرآن، وإلا ما الفرق بين الصورة والفرق بين اليدين؟ ما الفرق بين الصورة والفرق بين الوجه؟! ألسنا نثبت لله وجها والمخلوق له وجه، لكن كل منهم له صفة تليق به نعم[2] .

الثاني: تأويل معنى الصفة على معنى مقبول لا يخرج عن منهج أهل السنة والجماعة ومنها:

١-أن المراد صورة آدم، هيئته وتركيبه وما أعطاه الله من الطول والجمال، أي أن الضمير عائد على آدم، ذلك أن إطلاق الصورة على الصفة وارد في عدد من الأحاديث، من ذلك:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس.... فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)[3] .

---

[1] – الشريعة للآجري – (ج ١ / ص ٢٩٩+٣٠٠)

[2] – شرح الفتوى الحموية – (ج ١ / ص ٢٩٦)

[3] – البخاري/ كتاب الاستئذان – باب بدء السلام ، وكتاب الأنبياء – باب خلق آدم ، ومسلم/ كتاب الجنة ونعيمها باب ١١

ذكر الخطابي وغيره معنى هذا الحديث: وهو أن الهاء في قوله {على صورته} مرجعها إلى آدم عليه السلام، والمعنى أن ذرية آدم إنما خلقوا أطوارا، وآدم لم يكن خلقه على هذه الصفة، لكنه أول ما تناوله الخلق وجد تاما طوله ستون ذراعا[١] .

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذه الرواية تؤيد قول من قال: إن الضمير لآدم، لأن قوله "وطوله" عاد الضمير فيها على آدم[٢] .

عن أبي هريرة: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة..........على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً)[٣] .

فقوله في الحديث: "على صورة القمر" واضح أن معناه على صفة القمر وهيئته في الجمال والإضاءة، كما جاء في رواية مسام من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: (تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر)[٤] .

ثم قولهم "على صورة أبيهم...." يعني: على صفة أبيهم في الطول، لهذا فسرها بقوله ستون ذراعاً في السماء. ويؤكد ذلك صريح رواية مسلم: "على طول أبيهم آدم".

قال ابن حجر: الضمير لآدم والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح[٥] .

---

١ – الأسماء والصفات للبيهقي، ٣٧٠ ، مشكل الحديث لابن فورك ٧–٨

٢ – فتح الباري لابن حجر ٢٨١/٦

٣ – البخاري/ كتاب الأنبياء – باب خلق آدم ، ومسلم/ كتاب الإيمان رقم ٣٧٠

٤ – مسلم / كتاب الجنة رقم ١٥

٥ – فتح الباري – ابن حجر – (ج ٦ / ص ٣٦٦)

قال العيني: قوله على صورته أي على صورة آدم لأنه أقرب أي خلقه في أول الأمر بشرا سويا كامل الخلقة طويلا ستين ذراعا كما هو المشاهد بخلاف غيره فإنه يكون أولا نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم جنينا ثم طفلا ثم رجلا حتى يتم طوله فله أطوار[١] .

٢- أن المراد بالصورة الصفة، فيكون المعنى: فيأتيهم الله في الصفة التي يعرفون مما وصف الله به نفسه من الجلال والجمال، وليس المراد غير ذلك لأنه تعالى (ليس كمثله شيء).

عن أبي هريرة، أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة.... فساق الحديث إلى قوله: "فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا...الحديث " .

إلى قوله: قال عطاء بن يزيد: أبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً[٢] .

وأخرجه بلفظ: "فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا... الحديث[٣] .

قال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: هذا الحديث يطول الكلام عليه؛ لكن خلاصة الكلام أنَّ الصورة هنا بمعنى الصفة؛ لأنَّ الصورة في اللغة تطلق على الصفة، فقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته»؛ فمعني خلق آدم على صورة الرحمن؛ يعني على صفة الرحمن، فخص الله آدم من بين المخلوقات بأنَّ جعله مُجَمَع

١ – عمدة القاري – (ج ٢٢ / ص ٢٢٩)

٢ – البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة

٣ – البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر على جهنم، واحمد ٥٣٢/٢

الصفات........فالحيوانات قد يكون فيها سمع وفيها بصر، لكن ما يكون فيها إدراك ما يكون عندها حكمة ما يكون كلام خاص إلى آخره.

فآدم خُصَّ من بين المخلوقات بأنْ جَعَل الله ؟ فيه من الصفات ما يشترك بها في أصل الصفة لا في كمال معناها ولا في كيفيتها مع الرحمن جل جلاله، تكريما لآدم كما ذكرنا لك.

وهذا ملخص الكلام فيها وإلا فالكلام يطول لأنَّ هذا الحديث كثيرون لم يفهموا المراد منه، ولا حقيقة قول أهل السنة والجماعة في ذلك[١] .

٣- أن يعود الضمير على المضروب لما يكون في الحديث من الإرشاد باجتناب وجهه تكريماً له، ولولا أن ذلك هو المراد لما كان لهذه الجملة ارتباط بما قبلها.

عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)[٢] .

وبلفظ: (إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه، فأن آدم على صورته).[٣] وهو إسناد على شرط الشيخين .

وبلفظ: (لا يقولن أحد لأحد قبح الله وجهك ووجها أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته)[٤] .

١- شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ - (ج ١ / ص ١٩٨)

٢ - حديث أبي هريرة: أخرجه: البخاري (٢/٩٠٢ ، رقم ٢٤٢٠) ، ومسلم (٤/٢٠١٧ ، رقم ٢٦١٢) وعبد الرزاق (٩/٤٤٥ ، رقم ١٧٩٥٢) ، وأحمد (٢/٢٥١ ، رقم ٧٤١٤) ، والدارقطني في الصفات (١/٣٥ ، رقم ٤٤) ، وابن عساكر (٥٢/٣١٥) .

٣ - البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٧١

٤ - أخرجه عبد الرزاق (٩/٤٤٥ ، رقم ١٧٩٥٢) ، وأحمد (٢/٢٥١ ، رقم ٧٤١٤) ، ومسلم (٤/٢٠١٧ ، رقم ٢٦١٢) ، والدارقطني في الصفات (١/٣٥ ، رقم ٤٤) ، وابن عساكر (٥٢/٣١٥) .

قال أبو بكر بن خزيمة: توهم بعض من لم يتحرى العلم أن قوله "على صورته" يريد صورة الرحمن، عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل قوله "خلق آدم على صورته" الهاء في هذا الموضوع كنايه عن اسم المضروب والمشتوم، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه فزجر صلى الله عليه وسلم أن يقول: "ووجه من أشبه وجهك" لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: "قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك" كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم[١] .

وقال البيهقي موضحا معنى الضمير في قوله:" على صورته "وإنما أراد– والله أعلم – فإن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب. قال: وذهب أهل النظر إلى أن الصور كلها لله تعالى على معنى الملك والفعل، ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفاً وتكريماً، كما يقال ناقة الله وبيت الله ومسجد الله، وعبر بعضهم بأنه سبحانه ابتدأ صورة آدم لا على مثال سبق، ثم اخترع بعده على مثاله، فخص بالإضافة، والله أعلم[٢] .

قال ابن حبان: يريد به صورة المضروب لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم ضرب وجها خلق الله آدم على صورته[٣] .

وقال أيضا: يريد به على صورة الذي قيل له: قبح الله وجهك من ولده والدليل على أن الخطاب لبني آدم دون غيرهم قوله صلى الله عليه وسلم: (ووجه من أشبه وجهك) لأن آدم في الصورة تشبه صورة ولده[٤] .

---

[١] – التوحيد لابن خزيمة ص ٣٧

[٢] – الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٧١

[٣] – صحيح ابن حبان – (ج ١٢ / ص ٤١٩)

[٤] – صحيح ابن حبان – (ج ١٣ / ص ١٨)

قال ابن حجر: واختلف في الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها[١] .

وبعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء في الحديث وتوجيهاتهم لما أستُشكل فيه، فإني أقف حائرا أمام تلك الشبه التي أثارها أمثال هؤلاء، إذ لنا ان نقول لهم أين الخلل في الحديث بعد كل هذا البيان؟، فإنه سواء قلنا بقول من تأوله التأويل الصحيح، أو بقول من أجراه على ظاهره، فليس في الحديث ذلك الإشكال الذي أثاروه، أما على قول من تأول فالأمر في غاية الوضوح، وأما على قول من أجراه على ظاهره فالأمر كذلك لكونه اشترط الإثبات مع عدم التشبيه والمماثلة والذي يشترط في صفات الباري كلها، وهو أمر نشاهده في حياتنا فالإنسان له يد والحيوان له يد وليس هناك ثمة تماثل بينهما، ويقال هذا في صفات الباري فإثباتها ليس فيه انتقاص كونها توافق صفات المخلوقين في الاسم والوصف العام، ذلك انه سبحانه ليس كمثله شيء وصفاته تتميز عن صفات المخلوقين بأمرين هما الكمال والاستقلال.

أما أي القولين أرجح فإني لا أجد حاجة لذلك – اعني هنا في هذا الحديث خاصة وليس كمنهج عام – ذلك ان التأويل ليس بمذموم في كل حال فإنه إذا التُزم فيه بقواعد الشرع وقيد برباط النص دون الخروج عنه كان محمودا، والتأويل الذي صير إليه في هذا الحديث من هذا النوع ولعله في هذا الحديث أليق – والله أعلم – .

قلت: ولعله مما ينبغي الإشارة إليه ان الحديث ورد بلفظ آخر عن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن) ، أخرجه ابن أبي عاصم وابن خزيمة [٢] .

---

١ – فتح الباري – ابن حجر – (ج ٥ / ص ١٨٣)

٢ – السنة لابن أبي عاصم ٢٢٨/١ برقم ٥١٧، والتوحيد لابن خزيمة: ٣٨

وأخرجه ابن خزيمة مرسلاً عن عطاء، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: لا تقبح الوجه، فإن ابن ادم خلق على صورة الرحمن)[١] .

وأخرجه ابن أبي عاصم أيضا عن أبي هريرة بلفظ قال:" من قاتل فليجتنب الوجه فان صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن" .

قلت الحديث بهذا اللفظ ضعيف لا يصح .

قال ابن خزيمة – رحمه الله –: إن في الخبر عللا ثلاثاً:

إحداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري، ولم يقل عن ابن عمر.

والثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس، لم يعلم أنه سمعه من عطاء[٢] .

وقال الشيخ الألباني وله علة الرابعة: هي جرير بن عبد الحميد فإنه وإن كان ثقة كما تقدم فقد ذكر الذهبي في ترجمته من " الميزان " أن البيهقي ذكر في " سننه " في ثلاثين حديثا لجرير بن عبد الحميد قال: " قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ ". قلت: وإن مما يؤكد ذلك أنه رواه مرة بلفظ: " على صورته ". لم يذكر " الرحمن ". وهذا الصحيح المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من الطرق الصحيحة عن أبي هريرة[٣] .

أما رواية ابن أبي عاصم الأخرى ففيها ابن لهيعة وهو ضعيف.

---

١ – التوحيد: ٣٨

٢ – التوحيد لابن خزيمة: ٣٧–٣٨

٣ – السلسلة الضعيفة – (ج ٣ / ص ١٧٥)

قال الشيخ الألباني: هذا سند رجاله ثقات رجال مسلم ؛ غير ابن لهيعة، وهو ضعيف لسوء حفظه، وقد صح الحديث من طرق بنحوه، ولكن ليس فيه ذكر " على صورة وجه الرحمن "سبحانه وتعالى، فهي زيادة منكرة لمخالفتها لتلك الطرق[١] .

ثم إن العلماء بينوا ان سبب العلة هو التصرف في لفظ الحديث وروايته بالمعنى، حيث ظن الراوي بأن الضمير في قوله "على صورته" يعود على الخالق جل وعلا، فقال: "على صورة الرحمن "بدل" على صورته"، وفي مثل هذه الحالة إذا تطرق الاحتمال سقط الاستدلال، وترد الألفاظ الموهمة المشكوك في صحتها إلى الألفاظ المحكمة المتفق عليها .

وقد ذهب إلى هذا الحافظ البيهقي فقال: "ويحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما روينا في حديث أبي هريرة، فأداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه[٢] .

وقال ابن حجر: وقال القرطبي أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد في بعض طرقه أن الله خلق آدم على صورة الرحمن قال وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط في ذلك وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة ثم قال وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى[٣] .

وكذا ابن فورك حيث قال: "وقد روي أيضاً" إن الله خلق أدم على صورة الرحمن "وأهل النقل أكثرهم على إنكار ذلك وعلى أنه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة فتوهم أن الهاء يرجع إلى الله تعالى فنقل على المعنى على ما كان عنده في أن الكناية ترجع إلى الله تعالى[٤] .

---

١ – السلسلة الضعيفة – (ج ٣ / ص ١٧٤)

٢ – الأسماء والصفات: ٣٧١

٣ – فتح الباري – ابن حجر – (ج ٥ / ص ١٨٣)

٤ – مشكل الحديث لابن فورك: ٦

وقال الخطابي: إن مذهب كثير من الصحابة وأكثر الرواة من أهل النقل الاجتهاد في أداء المعنى دون مراعاة أعيان الألفاظ، وكل منهم يرويه على حسب معرفته ومقدار فهمه، وعلى أهل العلم أن يلزموا أحسن الظن بهم، وان يحسنوا التأني لمعرفة معاني ما رووه وأن ينزلوا كل شيء منه منزلة مثله فيما تقتضيه أحكام الدين ومعانيها[١] .

كما أنه يدل على ضعف هذه الرواية أن البخاري ومسلم لم يخرجاها .

قال الدكتور ياسر الشمالي: إن المتأمل ليدرك أن الشيخين لم يخرجا رواية "على صورة الرحمن" مما يدل على عدم اعتمادهم عليها وردهم لها، ونلحظ أنهم إنما ساقوا الروايات التي فيها لفظ الصورة في أبواب الرؤيا والشفاعة ونحو ذلك ولم يفردا للصورة بابا مستقلا مما يدل على أنهما لم يريا ما ورد في ذلك دالا على إثبات الصورة لله تعالى، وهو ما يتفق مع صنيع علماء الإسلام الذين فهموا من ذكر الصورة أن المراد بها صورة آدم في بعض الروايات أو صورة المضروب في رواية مسلم الآنفة الذكر، وأن ما جاء من نسبة الصورة لله تعالى مثل: "فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون" إنما أريد بذلك الصفة لكثرة ما تطلق الصورة على الصفة في كلام العرب كما أسلفنا ويكفينا في ذلك قوله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[٢] .

أما الرد على الإشكال حول طول آدم عليه السلام

١- ان هذا الأمر من علم الغيب الذي أخبرنا به الصادق المصدوق والذي يعد الإيمان من ابرز صفات المؤمنين، قال تعال مخبرا عن صفات المؤمنين: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[٣] .

---

[١] - الأسماء والصفات: ٣٧٧

[٢] - بحث نقد المتن بعلة الرواية بالمعنى: ٩

[٣] - سورة البقرة (٣)

وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[١] .

٢- لا يجوز الاحتجاج بالعلم الحديث لرد الأحاديث الصحيحة بمجرد عدم موافقتها لهذا العلم ظاهرا ذلك ان ما لا نعرفه نحن اليوم قد يعرفه غيرنا بالقريب العاجل، ثم إن العلم يعتبر من نتاج البشر وهو مهما بلغ من المكانة والمنزلة العالية نتاجا ناقصا، فإن حديث الذباب وحديث غسل الإناء بالتراب بقيا إلى عهد قريب من الأحاديث المشكلة عند البعض، ولكنها الآن أصبحت من مقررات العلم الحديث الذي أثبتها مؤكدا بذلك تفوق هذا الدين وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي علنه ربه فأحسن تعليمه .

٣- لا أقول ان البحث في الحديث ومحاولة معرفة المراد منه ممنوع ومحرم بل قد يكون ذلك من البحث المأجور لا سيما إذ ساعد في إزالة بعض الإشكالات التي أثارها أهل الأهواء فقد حاول بعض العلماء السابقين تفسير ذلك بما لا يخرج عن قواعد الدين وأُطُر الشريعة العامة حيث فسرها ابن حجر وابن التين بأن التناقص يكون من قرن إلى آخر يسيرا بحيث لا يشاهد بين يوم وآخر، بل يأخذ وقتا .

قال ابن حجر: أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك. وقال ابن التين قوله " فلم يزل الخلق ينقص " أي كما يزيد الشخص شيئا فشيئا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص، ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن

---

[١] - سورة المائدة(٩٤)

عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال[1] .

الخاتمة

١- نلاحظ من خلال استعراض شبهات القوم انها توارد خلف لسلف بحيث ردد اللاحق ما قاله أسلافه من أهل الهوى وسار في طريق معادة السنة وأهلها سوى قصد أم لم يقصد .

٢- الشبه التي أثارها المتأخرون المعاصرون كسائر شبه أهل الهوى لا تخرج حد التهويش ذلك أنها لا تستند إلى منهج ودليل علمي .

٣- تبين لنا أن المحدثين لم يكن من منهجهم فصل السد عن المتن في العملية النقدية، بل كانوا ينظرون إلى الكل نظرة كاملة، فالكل عندهم يشكل وحدة واحدة .

٤- العلاقة بين القرآن والسنة علاقة توافقية، وكل منهما يكمل الآخر ولا يمكن بحال الاستغناء عن أحدهما بالأخر، ثم إنه يمكن الاستدلال على بعض الأحاديث المعلولة من خلال عرضها على القرآن الثابت من السنة، على إلا يكون ذلك منهجا مطردا في كل حديث .

٦- تأكد لنا أن أحاديث البخاري ومسلم التي أخرجوها في أصول صحيحيهما هي بالجملة من أعلى درجات الأحاديث صحة وما كان فيه مقال لبعض أهل العلم كان الحق من نصيب البخاري ومسلم في أغلبه .

٧- ظهر بما لا يدع مجالا للشك أن المحدثين لم يكن اهتمامهم بالمتن أقل من اهتمامهم بالسند، بل أعطوا كل منهما حقه بما يتناسب وطبيعته .

---

١ - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ١٠٦)

٨- الأحاديث التي تعرض المعاصرون لنقدها، هي في الغالب مما سبقهم إليها أهل الهوى، لكن من رحمة الله بنا أنه سبحانه قيض لسنة نبيه من يرد عنها كيد الخائنين وإرجاف المرجفين

٩- ظهر لنا أن ترك الفقهاء الأربعة أو بعضهم لأحاديث في الصحيحين لا يخرق الإجماع المنعقد على صحة أحاديثهم .

١٠- منهج هؤلاء العقلانيين لا شك أنه يؤدي إلى نتائج سلبية ومنها:

أ- هدم جهود المحدثين ومنهجهم في تصحيح الحديث .

ب – فتح الباب للزنادقة للولوج منه للطعن في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي الطعن بالدين كله .

قائمة المراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – المؤلف: أبو عبد الله عبي الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي – الناشر: دار الراية – الرياض – الطبعة الثانية، ١٤١٨ – تحقيق: د.عثمان عبد الله آدم الأثيوبي .

٢- الاتجاه العقلي في نقد الحديث لؤي أبو نبهان – رسالة دكتوراه – جامعة اليرموك .

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة – للحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل –البوصيري – موافق لطبعة دار الوطن – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

٤- اختلاف الحديث – المؤلف: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي – الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ – تحقيق: عامر أحمد حيدر.

٥- الأدب المفرد – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

٦ – الأسماء والصفات – المؤلف: البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر – ٤٥٨ هجرية – المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي – الناشر: مكتبة السوادي – جدة – الطبعة: الأولى .

٧- الإصابة في تمييز الصحابة – المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢- تحقيق: علي محمد البجاوي .

٨- أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن – المؤلف: محمد الأمين الشنقيطي – الناشر: الكتب العلمية

٩- الاعتصام، للشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى.

١٠- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة – المكتب الإسلامي – الطيعة الثانية .

١١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية – ١٤٠٥- ١٩٨٥ .

١٢- بدائع الفوائد – المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – الطبعة الأولى، ١٤١٦ – ١٩٩٦ – تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج .

١٣- التاريخ الكبير – المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي – الناشر: دار الفكر – تحقيق: السيد هاشم الندوي .

١٤- تأويل مختلف الحديث - المؤلف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري - الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٣٩٣ - ١٩٧٢- تحقيق: محمد زهري النجار .

١٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف . المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد . الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الأولى، ١٤١٧ . تحقيق: إبراهيم شمس الدين .

١٦- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة - المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق .

١٧- تقريب التهذيب - المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - الناشر: دار الرشيد - سوريا - الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ - تحقيق: محمد عوامة

١٨- تفسير القرآن العظيم - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] - المحقق: سامي بن محمد سلامة - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

١٩- تهذيب الكمال - المؤلف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠- ١٩٨٠ - تحقيق: د. بشار عواد معروف .

٢٠- تهذيب التهذيب . المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . الناشر: دار الفكر - بيروت . الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ .

٢١- جامع الترمذي - المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .

٢٢- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) - المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - الطبعة الثالثة، ١٤٠٧- ١٩٨٧ - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق- الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت .

٢٣- الجرح والتعديل - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٥٢ .

٢٤- حوار هادئ مع محمد الغزالي - سلمان بن فهد العودة - الطبعة الأولى - ذو القعدة ١٤٠٩ هـ -الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ١٤٠٩هـ.

٢٥- درء تعارض العقل مع النقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول - المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - المحقق: محمد رشاد سالم - الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١.

٢٦- زاد المعاد في هدي خير العباد - المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - الناشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط.

٢٧- السلسلة الصحيحة - المؤلف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: مكتبة المعارف - الرياض .

٢٨- السلسلة الضعيفة - المؤلف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: مكتبة المعارف - الرياض .

٢٩- السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث - محمد الغزالي - دار الشروق الطبعة السادسة .

٣٠- السنة - المؤلف: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني [ت: ٢٨٧] - المحقق: محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الأولى١٤٠٠ .

٣١- سنن ابن ماجه - المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني - الناشر: دار الفكر- بيروت - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٢- سنن أبي داود - المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي - الناشر: دار الفكر - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣٣- سنن البيهقي الكبرى - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤- ١٩٩٤ - تحقيق: محمد عبد القادر عطا .

٣٤- سنن الدارقطني - المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي - الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦- ١٩٦٦ - تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٣٥- سنن الدرامي - المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدرامي - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٣٦- السنن الصغرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - مصدر الكتاب: - ملتقى أهل الحديث.

٣٧- سنن النسائي الكبرى - المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١١- ١٩٩١ تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن .

٣٨- سير أعلام النبلاء - الذهبي - تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر - الطبعة الأولى.

٣٩- شرح الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - الدكتور حمد بن عبد المحسن التويجري - موقع جامع شيخ الإسلام - .

٤٠- شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة، ١٣٩١ .

٤١- شرح مشكل الآثار - الطحاوي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى .

٤٢- الشريعة للآجري - المؤلف: الآجري - مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث - http://www.alsunnah.com

٤٣- صحيح ابن خزيمة - المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠- ١٩٧٠- تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي .

٤٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤- ١٩٩٣- تحقيق: شعيب الأرنؤوط .

٤٥- صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٤٦- صحيح مسلم - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - الناشر: دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثالثة، ١٤١٨ - ١٩٩٨ - تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله .

٤٨- العلل الواردة في الأحاديث النبوية - المؤلف: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي - الناشر: دار طيبة- الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٠٥ -١٩٨٥- تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي .

٤٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي - مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٥٠- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي (المتوفى: ٨٤٠هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٥١- الكامل في ضعفاء الرجال - المؤلف: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني - الناشر: دار الفكر - بيروت- الطبعة الثالثة، ١٤٠٩- ١٩٨٨- تحقيق: يحيى مختار غزاوي .

٥٢- كتاب التوحيد - المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - [٢٢٣هـ - ٣١١هـ] - المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان - الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٥٣- لسان الميزان - المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ - تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند .

٥٤- المجتبى من السنن – المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي – الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – الطبعة الثانية، ١٤٠٦- ١٩٨٦- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة .

٥٥- المجروحين – المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان البستي – الناشر: دار الوعي – حلب – تحقيق: محمود إبراهيم زايد .

٥٦- مسند أبي داود الطيالسي- المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي – الناشر: دار المعرفة – بيروت .

٥٧- مسند أبي عوانة – بتحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، وصدر عن دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥٨- مسند أبي يعلى – المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الأولى، ١٩٨٤ – تحقيق: حسين سليم أسد .

٥٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل – المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة .

٦٠- مسند الحميدي – المؤلف: عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي – الناشر: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي – بيروت، القاهرة – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .

٦١- مشكل الحديث – ابن فورك – عالم الكتب .

٦٢- مصنف عبد الرزاق – المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية، ١٤٠٣- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .

٦٣- المصنف في الأحاديث والآثار - المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٠٩ - تحقيق: كمال يوسف الحوت .

٦٤- معرفة السنن والآثار للبيهقي - المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ).تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، صدر عن دار الوفاء بمصر، سنة ١٤١٢هـ.

٦٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٩٢ .

٦٦- الموطأ - المؤلف: مالك بن أنس - المحقق: محمد مصطفى الأعظمي - الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٦٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الذهبي - تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى .

٦٨- نقد المتن بعلة الرواية بالمعنى - الدكتور ياسر الشمالي - بحث مقدم لملتقى نفد المتن الحديثي الأول .